العمى الثقافي بعامل العنصرية

صدام الشيباني

يقيم الشاعر اليمني في نفسيته كثيرا , فهو لا يتحرك منها , إلا لتحديد موقف مما حوله , حبا أو كرها , ويعمل على تقييم ما حوله , من أشخاص , ونصوص , وتوجهات حسب الفكرة المسبقة التي كونها عن هؤلاء . ومع ذلك يشهد صراعا داخليا عميقا عند استيعابه للمتغيرات حوله , وذلك لانعدام الموجهات الفكرية الثقافية التي تضع الشاعر في مرحلة (الأنفع – والأصلح) للواقع المعيش .

مع انعدام التوجهات الفكرية والثقافية يعيش المبدع اليمني حالة سديمية , وذلك لتناقض المواقف , وتداخل الآراء والحيوات , وتلاحق الرؤى , فلا يستطيع أن يقف موقفا محايدا ؛ ينظر فيه الى الرؤى الصائبة , ويعمل على دعمها ومناقشتها , والرؤى الخاطئة , ويقوم بتصويبها بسبب حالة الاضطراب هذه , وتبقى مع ذلك مساحة الفراغ كبيرة في نفسيته , يعمل على ملئها بمواقف , وإحساسات سرعان ما تتحول الى أزمات يومية , وشخصية , مع المحيط الأقرب له .

لأن النظام التقييمي الذي يحكم عقل المبدع قائم على العلاقات الوجدانية الى المستوى الذي يلغي عمل العقل تماما , وهذا ليس على الاطلاق ؛ لوجود قلة من المبدعين الذين يعملون عقولهم في لحظات كهذه , والعلاقات العاطفية دائما ما تقف عند لحظات الإطراء والمديح وتجعل منها المرتكز لظهور الذات وإبداعها , لأن أزمة المبدع ذاتية ناشئة من الأزمات الاجتماعية , فإن عوامل المديح تحقق له نوعا من الحضور الذاتي الذي يعوضه عن فقدان السلطة التي يسعى الى تحقيقها في حياته .

يتحول البحث عن المديح والإطراء الى نسق داخل الثقافة , بحيث يهفو المرء الى الأشخاص الذين هم على شاكلته نفسيا , وهذا يعمق النسق الإطرائي , وتغرق الحياة الثقافية الابداعية بالنصوصية المهترئة , والثقافة الشخصية التي نراها تطل بقرونها بفعل التدافع اللحظي لحركة المبدعين / الشعراء على وجه الخصوص .

يكون هذا نوعا من الميول اللاإرادية عند الشاعر , والرغبات النفسية للتجاذب مع الرؤى والأفكار والشخصيات , وتعطيها المبررات لإقامة علاقات جديدة , يفرضها التواصل , والرغبة في إقامة الحوارات غير المعلنة مع الآخرين لتتحول الى ميول عصابية ثم الى عنصرية معلنة تجاه الأنماط الثقافية .

إن العنصرية الابداعية التي أتحدث عنها اليوم , وتقترب من مساحة الثقافة اليمنية العامة , بأنها تقيم علاقات جديدة علاقة (التجانس) تجانس الشخصيات مع بعضها , وتجانس النصوص , وتجانس الميول النفسية . فبعض الأدباء يتبع خطابا شعريا مخصوصا (قصيدة البحور الشعرية) مثلا , يقومون بعلاقات مع هذا النمط من الشعر , ثم يتركون بقية أنواع الخطابات الشعرية ؛ ظنا منهم أن هذا النوع من الشعر هو الذي يعكس الذات العربية , ويختزل فيه قوة الخطاب الشعري العربي , والاتجاه اليه حفاظ على نوع من الهوية العربية الابداعية , رافضا الأشكال الأخرى , لأنها من وجهة نظره تنال من الهوية العربية , وهذا المفهوم ليس صحيحا ؛ لأن الذائقة العربية تتطور حسب الزمن الذي يغير من صيغ الخطابات .

وقس على ذلك أصحاب الأنماط الأخرى , إذ ينغلق كل نمط على نفسه رافضا إقامة أي حوار مع نماذج الشعر الأخرى , وهذا يعني أن الحقول الابداعية في القصيدة اليمنية تنشأ في دوائر مغلقة على نفسها , غير قابلة للحوار مما يسبب ضمورا في حركة الشعرية في النص .

إن من أخطر العنصريات التطرف الأدبي , وذلك بأن يستقل كل ادباء جنس أدبي – الشعر مثلا – عن ادباء جنس أدبي آخر , كالقصة . فالشعراء مغلقون تماما في النصوص الشعرية , ولا يقرأون في السرد , ولا يرغبون في متابعة النقد , والقصاص لايهتمون بالنتاج المسرحي أو الشعري , فكل جنس أدبي مستقل عن الجنس الآخر , وهذا يعني أن حركة التجديد والتكامل الجنسي في الأدب غير موجودة , وهذه أعاقت حركة الابداع اليمني كثيرا عن الابداع العربي .

لقد تكونت الصداقات في مجموعات منعزلة عن بعضها , وهذا تطرف مقيت , تنشأ بوجوده العصبويات والجماعات , في حالات مرضية مصادرة للآخرين ولإبداعهم , بكل صلف . وقد رأينا كيف يسخر الشعراء من القصاص ....الخ ويلغون تميزهم الكتابي .

مع هذه العنصرية ضاعت الموضوعية تماما , وأصيب أصحابها بالعمى الثقافي , فهم يحبون الحب الشديد ويكرهون الكره المبغض , فلو كره الشاعر شاعرا آخر أو قاصا انهال عليه بألفاظ السخط والمصادرة , والغى حضوره بمفردات الشتيمة , وأسقطه من الأدب , وإذا أعجب شاعر بآخر أحضر له كل مرادفات المدح والثناء , وصنع منه رمزا ثقافيا ووطنيا , وقدس نتاجه , وهو في الحقيقة ليس بالمستوى الممدوح . إنها العنصرية الذاتية القائمة على العلاقات . وهذا يعني ان مساحة الاختلاف غائبة تماما , وإيجاد مشروع الاختلاف داخل الذات المبدعة يحتاج الى نظام تربوي ثقافي ورغبة ذاتية في التغيير .

تستند العنصرية لدى الشاعر اليمني الى الوهم , وقد لاحظتها في الكثير منهم , على ان ما يكتبه فلان شيء مغاير تماما للسائد , وانه يكتب أدبا مختلفا حداثيا كما يرون , في حين ان النصوص الابداعية , والأعمال التي تطبع لا تدل على ذلك . وهذا الغرور المبكر أصاب الشاعر بالعتمة فلا يستطيع ان يقيم ذاته , او يجري أدوات النقد على إبداعه , فتنتفخ الذات انتفاخا مجوفا , لا يدل على امتلاء ورجاحة عقل , وطول بصيرة .

هذه الحساسية تجعل الأديب لا يتقبل أي ملاحظات نقدية , وان يخضع لأي تقييم , او أي توجهات , لأنه يرى انه أصبح أكبر من أن يوجه اليه النقد . وهذا وهم مبكر أصاب الكثير من الأدباء والشباب , مما جعلهم يبقون عند مستوى إبداعي لم يتعدوه الى أرقى منه الا القلة المعدودة من الأدباء , وهم خارج نطاق الشهرة .

لقد حتمت عوامل المصالح أن (يتعنصر) الأدباء , بالطريقة التي تضمن لهم لقمة العيش , بالطريقة السلوكية التي يرغبون في تداولها فيما بينهم , إذ يتبادلون ما تجود به المؤسسات خفية , وهذه طريقتهم , لكن هذا يكون على حساب الأدب الحقيقي الحر , الذي ينتقد الحياة , ويصنع رؤى تعكس الابداع وتفاعله مع قضايا المجتمع .

إن غياب المشروع الوطني , وغياب الذات الحالمة الى التغيير , جعل المثقف عرضة للأمراض الثقافية التقليدية , كالتعصب , والأدلجة المفرطة في القيود , والمناطقية , والعنصرية , لأن ذلك يجد هوى في نفسه للدخول الى الشرنقة , وإغلاق نفسه داخلها , فالمبدع يحتاج الى مثقف أشمل معرفيا يخرجه من دائرته , ويضيء له الطريق للسير فيها , لأنه لم يبصر النور بعد .

إن الأديب او الشاعر منطلق الثورة واليه تعود , وثورة الأدب تخليص الإنسان من القيود والأغلال التي تعيق تفكيره , فلا بد أن يكون مختلفا عن الواقع الثقافي المعيش , ليصنع واقعا جديدا بقالب فني يقنع الناس باعتناقه , وهو كذلك خلق مناخ فكري جديد للإنسان لتغيير نمط حياته , بالقضاء على الوهم والزيف , واللجوء الى المعرفة في صناعة المستقبل .

ثورة الأدب تخليص الانسان من القيود والأغلال التي تعيق تفكيره » فلا بد أن يكون مختلفا عن الواقع الثقافي المعيش

شرغة الأغلاس

عبدالحكيم المعلمي

قـالـوا بـأنـك شـديـد الـبـاس
وتـشـبـه الـكـوكـب الـدري
ومـعـدنـك مـن أصـول المـاس
ومـشربـك في الـهـوى عـذري
الـذوق والـفـن والإحـسـاس
في بـسـمـتـك يـا صـبـا عـمـري
أذوب في طـرفـك الـنـعّـاس
إذا سرى أو عـكـس سري
وامـوت في قـدك المـيّـاس
وأحـيـا عـلى مـدّك الـسـحـري
أسـكـب دلالـك مـلان الـكـاس
وارشـف لمـى ثـغـرك الـخـمـري
واضـم عـرفـك مـع الأنـفـاس
وانـثـر عـبـيـرك عـلـى زهـري
إقـدم عـلى الـعـين فـوق الـراس
وفي دمـي صـورتـك تـسري
وفي الـحـشـاء هـيـبـة الـحـراس
ودولـة الـحـب والـشـعـري
كـم سـائـلـوني عـلـيـك الـنـاس
مـا مـعـك ! تـعـشـق الـصـخـري
هـو ضـبـي نـافـر وهـو دسّـاس
وقـصـدهـم بـلـبـلـة فـكـري
فـقـلـت يـا قـلـب يـا هـجّـاس
مـا الـرأي ؟ مـاذا الـذي يـجـري ؟
جـوّب ومـن شرغـة الأغـلاس
تـلـعـثـم الـصـمـت في الـجـهـرِ
فـصـاحـبـك مـا عـلـيـه مـن بـاس
وصـاحـبـك يـخـجـل الـبـدري
فـيـه الـحـلـى والـوفـاء أجـنـاس
وهـو حـبـيـبـي ومـن صـغـري
لـو قـسـمـوا مـهـجـتـي أخـمـاس
وضـيـعـو لي خـمـس عـمـري
وبـدلـو مـنـطـقـي وسـواس
وشـبّـوا المـوت في صـدري
مـا تـوب عـن عـشـقـتـه يـا نـاس
ونـحـتـكـم لـيـلـة الـحـشري

دمعة ماكرة

خالد الحيمي

كم مرّ من الوقت؟ لا يدري. يقف أمام النافذة منذ ساعة، ساعتين، ربما دهر.. لم ينتصف الليل بعد لكن الشارع الذي نسي اسمه يكاد يكون خالياً على الرغم من أنّ الفندق الذي نزل فيه ما يزال ممتلئاً بالحياة، وأصوات النزلاء وهم يتحدثون أو يغلقون الأبواب خلفهم يتناهى إلى سمعة.

مدّ يده بتلقائية، وتناول علبة السجائر وأشعل سيجارة، وأخذ نفساً عميقاً تركه يتغلغل إلى كل خلية في رئتيه، ثم زفره كتلةٍ هائلة من الدخان سرعان ما تلاشت تماماً كما تلاشت حركة الشارع، حيث لا شيء سوى عمال النظافة يقومون بعملهم المعتاد، ومجموعة من الشباب يتحادثون عند ركن الشارع، ويضحكون بصوت عال، ورجل أشيب يتناول عشاءه المتأخر عنّد باب المطعم،ويبصق بين كل لقمة وأخرى..

تتوقف سيارة أجرة ويجاهد السائق في دفعها، يتطوع بعض الشباب ويساعده . تأتي سيارة شرطة وتتوقف أمام المطعم، يترجل منها شرطي ويدخل المطعم، يعود وبيديه أكياس بلاستيكية، تتحرك سيارة الشرطة وتتوقف غير بعيد.. كلام هنا، صراخ هناك و.. تنام المدينة.

في بلاد الغربة حيث مرت سنوات كثر من عمره عدها ضائعة لم يكن يشعر بالملل الذي يشعر به الآن، هناك متنفس دائماً، وراحة بال لا يجدها هنا.ومع هذا فكل السعادة التّي عاشها في الغربة كان محورها الأساس الرجوع للوطن، فلا شيء يضاهي الوطن..

نعم الوطن، هذا الذي يحزّ في نفسه أكثر من أيّ وقت مضى، لم يعد يتسع لحلم بسيط طالما راوده. سنوات من الغربة؛ ليشتري قطعة أرض، سنوات أخرى؛ ليبني بيتاً يؤويه وأسرته.. تبخّر الحلم، وذهبت الأرض – نهباً- لنافذ يحتمي بقطيع من الذئاب البشرية. ولأنّ العدالة معاقة في هذا البلد، فإن مارثون العدو في المحاكم باء بالفشل.

أشعل سيجارة أخرى، ولما لم يجد الرغبة في التدخين رماها وتتبعها بنظراته وهي تسقط وتتدحرج على الرصيف، ثم أغلق النافذة واتجه إلى السرير، ورمى جسده المتهالك،وهو يتذكر- بمزيج من التهكم والسخرية- أغنية شعبية تعبر عما يعيشه :" شلوا لكم صنعاء مع الأراضي ... أما حبيب قلبي ما ناش راضي" يغرق في الضحك، وما تلبث ان تراوغ مقلتيه دمعة ماكرة وتنزلق على خده الأيسر.

«الظل الأبيض» رواية للشاعر الاماراتي عادل حزام

رحلة نحو الاستنارة وفهم الوجود

أبوظبي (وام) - صدرت رواية «الظل الأبيض» للأديب الإماراتي عادل خزام التي تعد أول رواية عربية تتناول موضوع «الاستنارة والتأمل الذاتي العميق»، من خلال رحلة بطل الرواية الذي يبحث عن ذاته عندما يلتقي امرأة مجهولة تقوده في دروب التأمل الوجودي، وتتركه وحيداً أمام أسئلة الحياة ليحاول فهمها لوحده.

وكتبت الرواية التي توزع مع عدد شهر فبراير من «مجلة دبي الثقافية» في جميع العواصم العربية بأسلوب أدبي رفيع، وهي معززة بالرؤى الفلسفية والنصوص الشعرية. ويتوقع للرواية أن تنافس بقوة على جائزة البوكر للرواية العربية، لتمكن المؤلف من أدواته السردية، حيث تتركب بنية العمل من فصول عدة، وتتداخل أزمنة الحدث الروائي ما بين وقتنا الحاضر وتداعيات الماضي التي يستحضرها البطل «إبراهيم»، لفهم واقعه النفسي الغريب. وتتوزع أحداث الرواية بين مدن عدة وأمكنة، منها دبي والفجيرة والعين، وصولا إلى إندونيسيا. إلا أن المكان الحقيقي الأهم في الرواية هو أعماق البطل عندما يغوص من خلال جلسات التأمل إلى أبعد نقطة في جوهره، ليكتشف غموض نفسه ويدرك بعدها خدعة المتناقضات في الحياة، ولعبة العقل والحواس، وكيفية التخلص من شرك «التعلق بالأشياء الزائلة»، أي أن هناك رحلة خارجية تتمثل في حركة الشخصيات داخل زمن الحدث ورحلة أخرى باطنية هي إبحار في الذات الإنسانية.

وقال الأديب عادل خزام في تصريح خاص لوكالة أنباء الإمارات، بمناسبة تسمية الرواية بـ «الظل الأبيض»، أشار خزام إلى أن الاسم يحيل إلى بطلة الرواية «نور» التي من شدة صفاء روحها يتحول ظلها إلى أبيض حين تمشي في الليل وتزيح الأذى من الدروب، ولكن تطور الأحداث في الرواية يقودها إلى مكان بعيد، وتحديداً إلى إندونيسيا، حيث يكتنفها مصير غامض ويتحول وجودها إلى لغز فلسفي. وعن رؤيته لمستوى تطور الرواية في الإمارات، قال خزام إن التجربة السردية في الإمارات تجاوزت أسئلة البدايات، وأن التجارب الروائية التي طرحت في السنوات الأخيرة كشفت عن استعداد كبير للتجريب والخوض في مناطق جديدة. مؤكداً أن رواية «الظل الأبيض» ربما تكون الوحيدة عربياً التي تطرح فلسفة تأمل الذات بشكل عميق، وتثير أسئلة جديدة حول معنى الوجود وغربة الإنسان الذي تخدعه الحواس ويوهمه العقل بامتلاك ذاته ومعرفة نفسه، لكنه في الحقيقة يكون بعيداً جداً عن هذه الحقيقة. مشيراً إلى أنه عليه لكي يتجاوز محنته أن يخوض في أعماق ذاته، وأن يتخلص من تراكمات وطبقات كثيرة من الخوف المترسب في وجدانه منذ الطفولة الذي يعيقه من أن يكون حراً.

ولم يكشف خزام عن نهاية الرواية ومصير أبطالها، لكنه أوضح أنه تعامل مع العمل الأدبي بأدوات سردية، والتزم بتأسيس بنية روائية تقوم على الحوارات والسرد المطول، ولم يدخل الشعر إلا من خلال الشخصيات، حيث أحد الأبطال هو شاعر أصلاً، كما أن بطل الرواية الأول إبراهيم كان يحلم ويتمنى طوال عمره أن يكون شاعراً، لكن روحه المقيدة والمرتبكة كانت تمنعه من تحقيق هذا الحلم. وعن سبب خوضه تجربة كتابة الرواية بعد أن قدم مجموعات شعرية عدة، قال خزام إن هناك الكثير من الشعراء اقتحموا هذا المجال نظراً لثرائه وسحره. مؤكداً أن داخل كل شاعر ينام روائي كبير، إضافة إلى أن الخطاب الفلسفي في «الظل الأبيض» يعد جديداً كلياً، وهو أقرب إلى تفكيك الواقع الإنساني من خلال تعرية ألاعيب العقل الذي يضج بالأفكار المتناقضة، بينما حقيقتنا الجوهرية هي الصفاء التام الذي ينسجم مع صفاء الكون وسكونه وصمته. يذكر أن رواية «الظل الأبيض» هي العمل الأدبي السابع للأديب عادل خزام، حيث قدم من قبل ثلاث مجموعات شعرية وكتابين عن تاريخ الإمارات الثقافي والفني، إضافة إلى كتاب آخر يضم مجموعة من النصوص والتأملات بعنوان «مسكن الحكيم».

واحات الفن والجمال

صدر مؤخرًا عن الهيئة المصرية العامة للكتاب "واحات الفن والجمال" لمؤلفه محمد أمين عبد الصمد، حيث الدراسات الإنثروبولوجية التى تقوم بدور مهم فى قراءة وتحليل الثقافات والجماعات البشرية المتنوعة، والكشف عن الأعمدة الأساسية للبنية الثقافية والاجتماعية للمجتمع.

فالدراسة تشتمل على سبعة فصول، حيث يقدم الكتاب بانوراما لثقافة الواحات البحرية، فهى أقرب الواحات المصرية الخمس الكبرى إلى وادى النيل، والتى يطلق عليها الجيولوجيون اسم الصحراء الليبية، كما يتسم مناخها بالقارية شديد الحرارة صيفا، شديد البرودة شتاء، وتتباين درجة الحرارة بين فترتى الليل والنهار.

وتكون الواحات البحرية من مدينة الباونطى، وهى ثلاثة قرى أساسية منديشة والزبو والقصر، ويعتبر سكان الواحات البحرية سبيكة متجانسة بشريا، رغم تعدد الأماكن التى منها الأجداد الأولون للعائلات والقبائل الموجودة حاليا، ولطبيعة مجتمع الواحات التقليدية، فإن اهتمامهم بأصول عائلاتهم ونسبهم يحتل مساحة كبيرة من وجدانهم وأفكارهم حول ذاتهم وحول الآخرين أيضا.

وفى الفصل الثانى تحدث عن الأغنية الشعبية فى الواحات البحرية، فالأغنية الشعبية تمثل العقلية الجماعية، وتعكس اهتمامات الأفراد وتعبيرهم عن ذاتهم، كما تحقق لأفراد المجتمع بعض الوظائف النفسية والترويحية. فالأغنية الشعبية فن يربى المشاعر ويسمو بها إلى درجات إنسانية نبيلة فيغرس فيها بذور الفضيلة والواجب، وتعمل على تهذيب النفوس وتطهيرها من الأدران العالقة بها. وفى الفصل الثالث يتكلم عن الأمثال الشعبية الواحاتية من نظرة إنثربولوجية، على اعتبار أن الأمثال الشعبية تعبر عن تجربة شعبية طويلة للمجتمع، وقد عرف المتخصصون المثل الشعبى أنه جملة مفيدة موجزة متوارثة شفهية تنتقل من جيل إلى جيل، وهو جملة محكمة البناء بليغة العبارة شائعة الاستعمال عند مختلف الطبقات المجتمعية.

وفى ختام الدراسة تناول المؤلف الشعر فى الواحات البحرية والألعاب الشعبية المنتشرة فى الواحات والفن التشكيلى الشعبى فى الواحات البحرية، مع ملحق صور لكل جوانب الحياة الواحاتية البحرية التى تناولها المؤلف فى دراسته.